

الشخصية الروائية بين التمرد الاغترابي ومغالطة التشيؤ: قراءة نقدية في مضمون رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى لبشير مفتي

**The novelistic character between alienated (expatriated) rebellion and the fallacy of
reification :A critical reading in the content of the mixing season's novel or the major killing
feast of Bashir Mufiti**

كهلخضر الذيب²

Dib.lakhder@yahoo.fr

كهنيرة نوري¹

mounimouni2828@gmail.com

مخبر علوم اللسان

جامعة عمار ثليجي - الأغواط / الجزائر

تاريخ النشر: 2021/06/05

تاريخ القبول: 2021/02/10

تاريخ الاستلام: 2020/06/22

ABSTRACT:

ملخص البحث

The novel's characters work on the techniques of alienation and objectification; that modernist pattern that melts the character's traits in the mysteries of the text, leading to an objectifying nihilism that clads the person the supernatural system, and makes of him a part in a realm abundant of materiality that eradicates his human entity under the umbrella of the monistic taboos, what made it a bold step against the intrusion of the materialistic secularism.

Through my examination of the objectified characters, I aim at opposing egocentrism and asymmetric inequality. In doing so, I came to conclude that the characters are two natures: non-alienated genuine characters, and alienated fake characters to the extent of objectification that besieges their human entity.

Key words: Fictitiously characters-objectification- alienation- humanity-nihilism

تشغل شخصيات الرواية على تقنيتي اغتراب والتشيؤ: ذلك النمط الحداثي المذيب للملامح الشخصية بين مجاهل النص، جانجا إلى عدمية تشيئية تلبس الفرد النظام المافوق، وتخلق منه جزءا محوسلا في فضاء يعج بالماديات المستأصلة لكيثونة الفرد الإنسانية في ظل التابوهات الواحدة، مما جعلها خطوة جريئة أمام تغول العلمانية المادية.

وأرنو من خلال دراساتي لطابع الشخصيات المتشيئة إلى معاداة التمركز على الذات وعدم التكافؤ التداوتي.

وعليه خلصت أن الشخصيات نمطان: شخصيات أصيلة غير مغترية، وشخصيات زائفة مغترية حد التشيؤ الذي طوق إنسانيتها.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الروائية، التشيؤ، الاغتراب، الإنسانية، العدمية.

¹ المؤلف المرسل: منيرة نوري

1. مقدمة

تشكل ملامح الشخصيات في العمل الروائي حسب دور الرواية الذي تتقمصه، ومدى انعكاسها عليه، آخذة بتلايب القارئ إلى الانطباع الذي يخلفه إزاءها، باعتبارها نتاج امتزاج ثيمات خيالية تلامس الواقع لتستهوي المتلقي، بناء على حيوتها وسيرورتها في العمل الروائي كومضات توحى بالتشظي والانفتاح على رؤى جديدة للفعل البشري، التي تنم عن زبقيتها ومطاطية مكوناتها، فتتعدد بتعدد الإيديولوجيات والثقافات، إذ تعد مكونا هاما في اللعبة السردية، حتى ولو قُزمت من قبل الرواية الجديدة، فلا بد من استعادة مكانتها في العمل الروائي، كوعاء فكري وإيديولوجي "يحشد عبرها أكبر كمية من القيم والعناصر واللامح النفسية والسلوكية التي يراها منحدره إلى الفرد من المجتمع لتصبح الشخصية بالتالي نافذة يمكن التطلع منها إلى مساحات واسعة في الواقع الخيالي¹، وعليه يمكن طرح الإشكاليات الآتية: ما مدى تموضع الشخصية في الرواية الجديدة مضاهاة بالرواية التقليدية؟ وما منظور كل من النقاد الغربيين والعربيين من الشخصية كذات فاعلة في العملية السردية؟ وما الغاية من تقزيم الشخصية في الرواية الحديثة؟

2. ماهية الشخصية الروائية:

استحوذ مفهوم الشخصية على اهتمام الكثيرين بحكم أنها مركز الأفكار ومجال المعاني التي توجد في كيان الشخص وتنعكس على تفاعله بمحيطه، من خلال العلاقات الإنسانية والأحداث والمشاكل بينهم، باعتبارها كائنا خياليا إن لم نقل ورقيا.

إذ تعد عنصرا فعالا في التنقيب عن ديناميكية الحياة من قبل الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، والدراسات الأدبية الغربية والعربية، فهي "العمود الفقري في الرواية والشران الذي ينبض به قلبها، لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات وتقوم بالأحداث ونموها وتصرف ما تشاهد"²، فلم تقتصر على مجال معين، بل كانت عنصرا محوريا في كل مجال، مسيدة تيارها المسندة إليه في النص الروائي، فبالكاد يمكن انشطارها عن باقي العناصر السردية، إلا أن مفهومها المتزامن والنظرة الديناميكية إلى الرواية بدا مغايرا بطريقة فهم النقد لجنس الرواية، ومدى تباين النظريات والمقاربات في مفهومها، فنجد الكاتب يتدخل ليبوح بما يجول في خاطره، حيث "يمتزج بذوات الشخصيات ليصنع للقارئ لوحة عدولية عن المكان الواقعي الأحادي في الرواية أو الدلالة"³، فتغدو "الشخصية الروائية في وصفها بالخيال الفني للروائي (الكاتب)، وبمخزونه الثقافي الذي يسمح له أن يضيف أو يبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها بشكل مستحيل معه أن يعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة حقيقية لشخصية معينة في الواقع الإنساني المحيط، لأنها شخصية من اختراع الروائي فحسب"⁴، وهذا ما ركزت عليه الرواية الجديدة التي تحتقر الشخصية، مضاهاة بنظيرتها الرواية التقليدية التي كانت تمجد الشخصية وتعتبرها العنصر الأهم في العمل السردية،

جانحة إلى بنائها" والتعظيم من شأنها والذهاب في رسم ملامحها كل مذهب، وذلك ابتغاء إيهام المتلقي بتاريخية هذه الشخصية وواقعيتها، لكن الرواية الجديدة جاءت إلى مثل هذه الشخصية فأعارتها أذنا صماء، وعينا عمياء فلم تكذب تأبه لها، إذ بالغت في إيذاها وفي التضليل من مكانتها الممتازة التي كانت تتبوؤها في حضان الرواية التقليدية؛ فإذا هي مجرد رقم، أو مجرد حرف، أو مجرد اسم غير ذي معنى⁵، فبالرغم من الإيدان بإجهاض الشخصية من قبل النقاد المعاصرين، إلا أنها لازالت تتسيد القيم التقليدية التي ينادي بها النقد التقليدي ف "من الضروري للشخصية أن تتميز بصفات خاصة حتى تظل منفردة، لا يمكن إحلال شيء آخر محلها، أو أن تتمتع في نفس الوقت بالعمومية حتى تصبح كونية، ولكي يكون هناك بعض التنوع، حتى يحس المؤلف بشيء من الحرية، فله أن يختار بعض الأحيان بطلا يبدو وكأنه يحطم إحدى هذه القواعد المتفق عليها...ولكن ألا يبالغ المؤلف في خوض هذا الطريق فهو طريق الضياع، الطريق الذي يؤدي مباشرة إلى الرواية الحديثة"⁶، التي تعمل على تغييب الشخصية في مقابل تخفي الفرد ودوره في المجتمع، حيث برزت في العديد من الأعمال الروائية الجديدة بلا اسم، ولا عمق في ظل التشوهات التي لحقت بذات الإنسان لتعانق عالمًا أفقدها حضورها وإنسانيتها، المتولد عن تشظي الفرد أمام الأشياء المنحدرة من فضاء منشطر المذاهب والثقافات والإيديولوجيات اللامحدودة.

1.2 الشخصية من منظور النقد الغربي:

يعرف رولان بارت الشخصية بأنها "نتاج عمل تأليفي وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص، عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم (علم) يتكرر ظهوره في الحكى"⁷، متخذة ذاتا لغوية لسانية كونها كائنا ورقيا وعنصرها مهما في تشكيل بنية النص الروائي، بالإضافة إلى أنه يؤنسها متخذًا بذلك موقفا وسطا، إلا أن تودوروف "يشترط أن تجرد الشخصية من محتواها الدلالي ونتوقف عند وظيفتها النحوية فنجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية، وبعد ذلك نقوم بالمطابقة بين الفاعل والاسم الشخصي للشخصية"⁸، فكانت نظرته للشخصية على أساس لغوي فالشخصية لا وجود لها خارج الكلمات في مسار نحوي مجرد من الدلالات، أما غريماس فيرى أن "مجموع العوامل تبقى ثابتة وفق منظومة معينة، وأن هذه الشخصية يمكن أن يؤديها عدد لا نهائي من الممثلين"⁹ قسمها إلى مستويين: مستوى تمثيلي تتخذ فيه الشخصية دورا عامليا أو عدة أدوار عاملية، ومستوى عام يهتم بدور الشخصية لا بذاتها المنجزة، منتقلا من البنية السطحية إلى البنية العميقة، مركزا بذلك على فعل الشخصية وحركيتها داخل البناء الروائي.

2.2 الشخصية من منظور النقد العربي:

ينظر عبد الملك مرتاض إلى الشخصية بأنها هي "التي تصطنع اللغة وهي التي تثبت أن تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة... وهي التي تمض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال أهوائها

وعواطفها ... وهي التي تتكيف مع التعامل مع الزمن في أهم أطرافه الثلاث: الماضي، الحاضر، المستقبل¹⁰، باعتبارها مكونا رئيسيا في العملية السردية تستند في ذلك إلى وظائف مهمة في البناء الفني.

أما الناقد حميد لحمداني فيعرف الشخصية بأنها "الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوك الشخصيات"¹¹، فتتعدد وجوه شخصيات الرواية بتعدد القراء وتباين تأويلاتهم

وعليه يمكن القول بأن الشخصية مكون فعال في العمل السردى ودعامة رئيسية في قيام أي عمل روائي، وجزء من السرد لا يمكن فصلها عنه، لذا شغلت العديد من النقاد والدارسين على اختلاف مشاربهم ونظرياتهم لتجسدها الركن الفني في النص السردى الذي يحمل دلالات إيحائية يستنبطها القارئ مستكنها أبعاد النص وخفاياه والكشف عن ضبابية شخصياته الروائية، بغية كشف مغاليقها واقتناص معانيها.

3. أنماط الشخصية في رواية اختلاط المواسم:

1.3 الشخصية المغترية:

تستخدم كلمة الاغتراب للدلالة على "الإحساس الذاتى بالغربة، أو الانسلاخ detachment سواء عن الذات أو عن الآخرين"¹².

ويعد كارل ماركس من الأوائل تناولوا موضوع الاغتراب، إذ عدّه ظاهرة تاريخية اجتماعية، ومفهوما ماديا مستمدا فكرته من أعمال هيجل، متدرجا فيها، والتي تنم من "اغتراب الإنسان عن عمله من خلال فهمه للنظام الاقتصادى، وقد مارس في دراسته الاغتراب بالواقعية والشمولية، وأن الإنسان أهم محور في العمليات الاقتصادية"¹³، أي أن الإنسان مغترب من خلال جهده في إنتاج الأشياء التي تحول الإنسان إلى مجرد شيء في ظل الرأسمالية، فيكون بذلك إنسانا عاجزا وسلعة تتدنى قيمتها بارتفاع قيمة الشيء، وهذا ما ترجمته ليندة؛ تلك الشخصية المسطحة التي باعت نفسها ومصيرها مقابل مستقبل مادي محدود، فقد كانت "غير مهتمة بالتعليم، منذ البداية... وأن الجامعة فرصة للتصعلك والعيش بحرية والعثور على زوج مناسب بعد التخرج"¹⁴، بعدما تشبعت بثقافة الإغواء الإرادى والعري والانحدار الأخلاقى، الذي سلبها إرادتها وهويتها وحتى شرفها، فقد جعلت من جسدها الجميل طعاما لاصطياد الرجال، إذ كانت "تحرص أن يكون دائما في مقدمة المشهد، هو السلاح الأول الذي تثير به لعاب الرجال، وهو الواجهة التي تريدها فاتنة وخلاصة وتركع كل قهار متجبر"¹⁵، وإذا بها تقع فريسة وحش سلب منها كرامتها، مستقبليها، وشرفها المحطم الذي جعل منها

امراً معابة ومبتورة في مجتمع بطريركي، لا يعترف بالوجود النسائي، فكانت ضحية لعلاقات الإنتاج المادي الذي سبب لها اغتراباً ذاتياً، وجعل منها سلعة رخيصة، مستهواة بالهدايا المغدقة والأموال الطائلة والخرجات السياحية، حيث كانت دائمة السهر "خارج الإقامة الجامعية، وعودتها في وقت متأخر وهي تترنح من السكر ورائحة السجائر"¹⁶.

أما إريك فروم فيقترّب من فكر ماركس الاغترابي، فالاغتراب عنده هو "الهروب من ممارسة الحرية، متوصلاً إلى أن له مشتقات متمثلة في: فقدان السيطرة وسلب الحرية والتسلط والانعزال، وهي التي تعرّض لها بالشرح عند تحليله للعملية الاجتماعية والنفسية التي تفضي إلى فقدان السيطرة خاصة عند رصده لآليات الهروب من الحرية بمعنيها الإيجابي والسلبي"¹⁷، التي تجعل الشخص منفصلاً عن الطبيعة البشرية، متميزاً عن غيره، منفصلاً عن وجوده الإنساني، وهذا ما جسده شخصيّة القاتل: مجهول الاسم، غريب الطباع، حيث "عاش حياته يفرض منطقاً على غيره، ويمارس حقه الشيطاني في القتل دون شعور بالرحمة أو الشفقة على المخلوقات البائسة"¹⁸، عاجز عن التمييز بين ذاته الأصلية والزائفة، المغترية عن جوهره الإنساني، يتلبس الذات الأصلية بحسب فروم "غير المغترية، التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصل"¹⁹، تأتمر لأوامر خارجية وتتصرف وفق رؤاها، فينجم عن ذلك اغتراب عن الذات الأصلية.

أما دوركايم فيرى أن اغتراب الإنسان ينشأ من عزلته الاجتماعية التي نجمت عنها النزعة الفردانية المكرسة من قبل العلمانية التصنيعية، مما أدى إلى تكوين إنسان وحدوي مكتئب، منطلقاً في تحليله لما وسمه بالأنوميا المتولدة عن فقدان المعايير، فيقر بأن "سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها بصورة مرضية، إذ لم تكن حاجاته متناسبة مع الوسائل التي يملكها لإشباعها"²⁰، فكانت ذات القاتل الفردانية بعيدة عن محيطه، غير مألوفة، مجهولة الاسم تستمتع بالقتل وتتفنن فيه، حيث تنامي في داخله من هوس إلى حالة وجودية، تحمل روحاً ديستوفيسكية، جعلت من القتل قانوناً للحياة لأجل تبرير الوجود، حيث كان يتلذذ بشيطانه الليلي، إذ يقر: "كان آخرهمي أن أخرج من ظمتي إلى نورهم، ومن سواي إلى ضوءهم، فأنا ابن الليل، وهو اللباس الوحيد الذي يناسبني ويسعدني"²¹، كانت أجواء الموت تثير غرائزه، فنحتت منه شخصية كاموية، فلم يحزن حتى على وفاة والده، فقد أفرغت شخصيته من طابعها الروحي، فكان سلطة متغوّلة دونكيشوتية؛ شخصية ثابتة تقاوم أي نوع من أنماط التحول، غريبة وشاذة، إذ يقول: "أنا أقتل تقرباً من عالمي الداخلي الذي يسمونه بالظلمات، وهو مكان غريب في النفس، مليء بالزوايا المعتمة، وأنا لا أريد اكتشاف زوايا المعتمة تلك، ولا إنارة ظلماته، إنه يطلب مني فقط أن أرضيه، لأني بذلك أرضي نفسي وما أنا عليه"²².

وهذا ما أقرب به هيجل حينما عدّ الاغتراب "تلك العملية التي من خلالها يفقد الإنسان جزءا من ذاته في الوجود الخارجي، وفي هذا الفقد إما أن تعثر الذات عن نفسها في هذا العالم الذي أنتجته فتتكامل مع ذاتها، وإما أن يكون العالم الذي أنتجته غريبا عنها، ولا ينتمي إليها بل ويقف عدوا لها"²³، فتصبح ذات الإنسان منفصلة عن جسده، غريبة عنه، من خلال التطور في المعرفة البشرية، سيما إذا لم يحصل التوافق بينهما، فإذا حدث التوافق زال الاغتراب، إلا أن اغتراب القاتل ليس ذاتيا، لأنه راض بشخصه الشيطاني ومتلذذ بذاته، لكن اغترابه اجتماعي جعله شخصية فذة مشكوك في أمرها.

أما الاغتراب عند روسو في كتابه العقد الاجتماعي: فيعني التنازل إما عن المبادئ أو الكرامة أو الحقوق، فأن "تغترب يعني أن تعطي أو أن تبيع، فالإنسان الذي يصبح عبدا للآخرين لا يعطي ذاته، وإنما يبيع ذاته على الأقل من أجل بقاء حياته"²⁴، أو ادعاء إثبات وجوده، فنجد النساء يتخذن من البغاء ذريعة للحرية أو الظفر بالعيش الرغيد كما يحلو لهن نعته، فيبعن أجسادهن بأثمان بخسة ويغتربن عن ذواتهن الإنسانية، وهذا ما ترجمته شخصية العاهرة سمسم: التي تعمل في مقهى ليلي، من خلال منح جسدها لكل من هب ودب، ومن بينهم القاتل، الذي لم يكن يأبه بعالم النساء، إلا أنها أثارت شهوته وأغوته "بحسب ما تشعر به من رغبة عند الطرف الثاني، وهي ترى أن الشرب والسكر ضروريا في عملية الإغواء، فهو الذي ينشط عند الرجل رغباته الجنسية الخامدة"²⁵، فيصف القاتل عديم المشاعر انجذابه لأول مرة للمرأة المتمرسنة في هكذا نشاطات دنيئة، ويعترف برغبة شديدة في اقتحامها واستئثارها فيصف حالته بعد إنجازه للمتعة التي تفوق المتعة الجنسية، وهي متعة القتل المفاجئة التي وُكِّلت إليه "عدت لبيتي سعيدا، وجدت سمسم ممددة على بطنها فوق سرسري عارية، جاهزة لأن تنكح، شعرت باستثارة جنسية لأول مرة، أخرجت قضبي ووضعت بالضبط في ثقب مؤخرتها فأيقظتها وتمتعت كلاما لم أتبينه، ولكنها بسرعة عادت للنوم، ونمت أنا فوقها"²⁶، ما جعل من الزنى أمرا اعتياديا هينا، حيث تغربت ذات سمسم فأصبحت نعلا رثا ينتعله كل من يصادفه، وسرعان ما يكتشف رثائه يقذف به، فتصير بذلك الشخصية متشيئة، مسلوقة الإرادة..

2.3 الشخصية المتشيئة:

تكتسي الشخصية المتشيئة طابع المادية المتجردة من الأفكار المعقلنة، التي ألبسها إياها ستار الحضارة الرامي إلى تجاوز العصور البربرية والمتستر عن تدني قيمة الإنسان إلى مستوى التشيؤ، الذي حول الفرد إلى "موضوع وفقد إحساسه بهويته ومن ثم يشعر بأنه مقتلع، حيث لا جذور تربطه بنفسه أو واقعه"²⁷، فتنشأ علاقات مادية بين الأفراد خطط لها المجتمع الرأسمالي، تجعل الشخص أقرب إلى الشيء منه إلى الإنسانية، حيث صار الإنسان أداة يُتحكم بها عن بعد في زمن تغيرت فيه الإيديولوجيات والبنى الاجتماعية، ساعيا إلى إثبات وجوده في ظل الحداثة التي طوقته من كل النواحي، فبعد أن كان معيارا للتقدم الحضاري، أصبح رقما لا يتجاوز حواسنا، في ظل الاتساع

العلمي الذي أودى بقطيعة بين العلم والقيم، خصوصاً بين العلم والفلسفة، أزيح الإنسان عن مركزيته ليجد نفسه براغماتياً، ملهماً بالمادة أو الطبيعة إن صح التعبير، فالكثير ممن أصيبوا بـ "حمى تغيير السيارات التي سكنت الجميع في السنوات الأخيرة، حتى إن بعض الأساتذة الجامعيين صاروا يعرفون ويُنادى عليهم بأسماء سياراتهم"²⁸، فهذا ينم عن تشيؤ في شخصياتهم الميكانيكية، التي صارت تعبد المادة، فمثلاً شخصية مدير إحدى المجلات كاد أن يركع لرجل الأمن (ع) الذي توسط له من أجل الإبقاء على مقر المجلة، فنستنتج هنا أن الأبصار قد عميت، ولم تعد هناك قيمة للذات الإنسانية في ظل تفشي المادة، فنجد الناس الذين يخشون الإملاق يلجؤون إلى ارتكاب أشنع الجرائم بغية البقاء في محيط متبجح، وهذه الحالة قديمة قدم الإنسان؛ أي لم تكن وليدة الحضارة.

كما نلمس سمة التشيئية في شخصية القاتل التي يجتاحها الغموض، لقدرتة على التعامل مع الأشياء بكفاءة عالية، بينما يفشل في التعامل مع الأشخاص، إذ أصبح حبيس قالب مادي منفصل عن القيم، فيقول: "لقد وصلت البشرية إلى نهايتها وجاء دوري لأُنهي وجودكم على طريقي وبرغبتي، نعم؛ بالقتل جئت مبعوثاً في السماء، أو من مكان غير مرئي، أعطاني القوة لكي أمارس عليكم رعي وسطوتي، وبطشي، وستشعرون أن موتكم على يدي هو خلاص لكم، وفي تلك اللحظات التي تنزل علي مثل هذه الخواطر الغامضة فتصفو روحي، وتصل إلى قمة علوها النوراني"²⁹، فقد تمركزت أحلام القاتل حول أشياء مادية جعلته يقتل دون مراعاة الحالة النفسية أو الضمير، بل تجده يتلذذ بجرمه ليصل إلى حد النشوة، التي شخصت علاقته بالوجود الإنساني في علاقة مادية شئيئية ميتة.

كما قُدر للجسد أن يعد علامة الوجود الإنساني المحسوس رغم الاختلافات بين الفلاسفة التي تحدد قيمته على حساب العقل والعكس، فجُعل من الجسد الأنثوي غرائم مادية يتاجر بها إما للتشهير بالأخلاقي أو الاستقطاب، حيث صارت سلعة جنسية تحول فيها جوهرها الإنساني إلى شيء للمتعة، في حين تظنه هي قمة التحرر والعصرنة، وفرض نفسها في مجتمع ذكوري لطالما أهانها وقلل من قيمتها كذات إنسانية، وهذا ما جسده الشخصيات الأنثوية في الرواية، كشخصية سميرة قطاش؛ الأستاذة المثقفة والمرأة المحافظة، ألفيناها تلوّث بدناءة الجنس تحت وشاح الحب الزائف معترفة: "فكرت أنني فاجرة روحياً امرأة مدنسة... تدنس بسبب شعور طاهر اسمه الحب... أليس غريباً أن يدفعنا الطهر إلى الدناسة، وما هو نبيل وفاضل إلى الشر"³⁰، فقد سلمت جسدها للعديد من: حيث مارست الحب مع حبيبها صادق، ومارست الجنس مع الدركي الذي اغتصبها، وأستاذ الفلسفة الذي خرجت معه ومارست التقبيل والحب، بالإضافة إلى وهما جسدها لفاروق الذي كان يتعشقها برغم احتقارها له، حيث تقرر له: "أقترح عليك جسدي، فسأكون سعيدة بتقاسم متعة

الجسد معك، هذا فقط لا غير"³¹، قد أهانت جسدها وجعلته مضغة في أفواه الرجال، بالإضافة إلى الطالبة ليندة التي سبق وأن أثرنا قضيتها من قبل.

فنلاحظ من خلال هذين النموذجين أن النساء المثقفات قد وقعن في فخ التشيؤ السياسي المتظاهر بإعطائهن حقوقهن، من خلال المشاركة في المحافل السياسية والثقافية لإرضاء الرأي العام، وتفادي الشكوك حول تحقيق المرأة، ولكن الغاية هي تسليع بطريقة غير مباشرة، والتخفي وراء قناع الثقاف الذي يتقبل الآخر المخالف وينفتح عليه.

في حين أن التشيؤ الذي مورس على شخصية شريفة التي لم تنحرف كسابقها، وإنما تزوجت بأمر من أهلها، مستقبلها قُدر لها دون منحها حق الاعتراض أو المناقشة، في الزواج من بقال، هذا الأخير الذي تمكن من "أن يقنع عائلتها بأنه حان الوقت للزواج منها، وأنه بعد الزواج لن يوافق على أن تكمل زوجته الدراسة أن تخرج من البيت دون محرم"³²، فأخذ التشيؤ بذلك مسار العادات والتقاليد الممنوع مناقشتها أو التعديل فيها.

وما نلاحظه في الرواية من تشيؤ على المرأة هو اعتماد جسدها للإثارة والجنس، مركزا على مفاتها وعلاقتها الحميمة كشخصية ليندة وسميرة قطاش والعاهرة سمس، مع الرجال الأجانب دون مراعاة للجانب الأخلاقي، فصارت جل شخصيات الرواية مرآوية تجذب القارئ الذكوري، فقدت من خلالها المرأة جوهرها الإنساني، في زي التحرر أو النسوية، بالإضافة إلى معاناة أختها التي تطلقت بعد إنجابها العديد من الأولاد من إمام مسجد؛ الذي كان الأجدر به أن يترجم خطاباتة أو محاضراته في تحسين علاقته بزوجه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها التي هجرها والدها وطلقها بعد عشرة دامت ثلاثة عقود من الزمن، فنلاحظ من خلال شخصيات الرواية أن المرأة قد عانت من التشيؤ والاحتقار في ظل أكذوبة الحرية ف"عالم التقدم الصناعي في مجموعه حسب ماركوز خلق مجتمع قمع وسيطرة عندما قام بقمع المواهب الإنسانية، وحال دون تفتحها الحر، حيث يتحكم جهاز الإنتاج في كل شيء على المستوى المادي والفكري على حد سواء، إنه مجتمع أحادي البعد (unidimensionnelle) يصب الإنسان داخل قوقعة لا مخرج منها يجعله يعيش داخل نوع من النمطية (strandartisation) مجرد إياه من كل رغبة أو طموح في التغيير أو التحرر".³³

4. خاتمة:

تحتاج كل ذات إلى تفاعل تداوتي يضمن حق التقدير الاجتماعي للذات الإنسانية الموهوزة من قبل القوى الرأسمالية، التي حولتها من شخص ذي كيان إنساني إلى بضاعة خاضعة لإرادة مافوقية، ضمن رؤية أنطولوجية وأنثروبولوجية، حوسلتها في ظل التقدم المادي متفادية كل ما هو قيمي، من خلال دراسة ذوات شخصيات الرواية والغاية من توظيف الكاتب لها، وعليه يمكننا رصد النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لامتداد الشخصية الروائية وزئبقيتها من الاغتراب إلى التشيؤ:

- أثبتت دراستي أن الشخصيات نوعان: منها ما هو أصيل غير مغترب، ومنها ما هو زائف مغترب نجم عنه انفصام شخصي.
- أسهم التطور الحضاري في تهميش الذات الإنسانية وتشيعها، بتوفير متطلباتها التي تجعلها خاضعة للآلة.
- تبدى اغتراب بعض شخصيات الرواية من خلال الصدام الواقع بين وجود الإنسان الفاعل والإنسان كموضوع لأفعال الغير.
- يتولد الاغتراب عن انعزال الإنسان عن مجتمعه وشعوره بالتميز حتى وإن كان سلبيا، مما سبب في نفسه إما عقدة النقص أو الشعور بجنون العظمة والتسيد، وهذا يتجلى في شخصية القاتل المجهولة.
- يرضخ الإنسان إلى الأشياء، فيكون بذلك أسيرا للمادة، فتصبح هذه الأخيرة قيمة في حد ذاتها، فتستأصل من الإنسان قيمته الإنسانية، فيُعامل كشيء، لذا تتولد عن ذلك علاقات اجتماعية بين الأشياء وعلاقات شيئية بين الأشخاص.
- توغل التشيؤ على المرأة من خلال علاقتها بالرجل، هذه العلاقة التي لم تتخلص من النفاق الاجتماعي والأخلاقي الذي تفرضه السلطة الذكورية عليها، حيث تجيز للرجل ما لا تجيز للمرأة.

الهوامش:

¹ صلاح صالح، (2003)، سرد الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص 100.

² فهد حسين، (2003)، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في نقدية، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 45.

³ داود محمد، (2006)، رشيد بوجدر و إنتاجية النص، منشورات كراسك، ص 83.

⁴ بعلي يوسف أمانة، (1997)، تقنيات السرد في النظرية التطبيقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص 26.

⁵ مرتاض عبد الملك، (1998)، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 48.

⁶ آلان روب، (2008)، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تق: لويس عوض، دار المعارف بمصر، ص 35. جريبه

⁷ لحمداني حميد، (2000)، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 51.

⁸ بحراوي حسن، (2009)، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 213.

- ⁹ الحجيلان ناصر، (2009)، الشخصية في قصص الأمثال العربية دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، النادي العربي، الرياض، ص 70.
- ¹⁰ مرتاض عبد الملك، المرجع السابق، ص 91
- ¹¹ لحمداني حميد، (2000)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 50.
- ¹² المرجع نفسه، ص 25.
- ¹³ عباس فيصل، (2008)، الاغتراب؛ الإنسان المعاصر وشفاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان، ص 70.
- ¹⁴ مفتي بشير، (2019.1440)، مواسم اختلاط أو وليمة القتل الكبرى، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 192.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 201.
- ¹⁶ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 201.
- ¹⁷ قديد ذياب، (2011)، المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 17.
- ¹⁸ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 228.
- ¹⁹ محمد خليفة عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 41.
- ²⁰ عباس فيصل، المرجع السابق، ص 65.
- ²¹ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 47.
- ²² مفتي بشير، المصدر السابق، ص 39.
- ²³ إمام عبد الفتاح إمام، (2007)، المنهج الجدلي عند هيجل، دار التنوير، بيروت، ص 88.
- ²⁴ شاخت رتشارد، (1980)، الاغتراب، تر: كامل يوسف حسن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 72.
- ²⁵ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 45.
- ²⁶ بشير مفتي، المصدر نفسه، ص 45.
- ²⁷ محمد خليفة عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 43.
- ²⁸ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 140.
- ²⁹ مفتي بشير، المصدر السابق، ص 73.
- ³⁰ مفتي بشير، المصدر نفسه، ص 236.
- ³¹ مفتي بشير، المصدر نفسه، ص 164.
- ³² مفتي بشير، المصدر نفسه، ص 208.
- ³³ آمال عشاوشيش، (2005)، في نقد المجتمع الصناعي: ماركيز وآخرون، مجلة أفكار وأفاق، م 4، ع 5، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص 204.